مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الهجرة من أهــم أحداث الدعــوة الإســلامية ، ســبقتها البعثة ، وأعقبها فتح مكة.

وللهجرة مفهوم تاريخي ، يتلخص بهجرة النبي ﷺ ، وأصـــــحابه الكرام من مكة التـــي كذبتـــه ، وآذته ، واضطهدت أصحابه .

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾

[الأنفال : 30] .

إلـــى المـــدينة التي صـــدقته وآوتـــه ونصـــــرته .

﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُــحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

[الحشر : 9] .

وقد شـــاءت حكمة الله أن تكون الهجرة محكاً لصدق المـــؤمنين في إيمانـــهم ، وحرصـــهم على النجاة بـــدينـــهم ، ولو كان الثمن اقتلاعهم من جذورهم:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

[الأنفال : 72].

إنـــها الموقف العملـــي الحركي ، الذي يـــؤكد صـــدق الإيمان ، فضـــلاً عـــن وجوده ، فما إن يســـتقر الإيمان في القلب ، حتى يعبر عن ذاته بحركة إيجابية تؤكده.

وما لم يبتعد المـــؤمن عـــن كل ما يبعده عـــن الله ، ويتحرك نحو كل ما يقربه منـــه ، ففي إيمانه شـــك ، وفي عزيمته خور .



والهجرة لا تقبل إلا خالصـــــة لله عز وجل ، وابتغاء وجـــهه الكريـــم ، وهي عمل ، وشـــأنها شـــأن أي عمل ، لا يقبل إلا إذا كان خالصاً وصواباً ؛ خالصـــاً ما ابتغي به وجـــه الله ، وصواباً ما وافق السنة .

قال عليه الصـــلاة والســـلام في الحديـــث الصـــحيح المتواتر : ((إنـــما الأعمـــال بالنيات ، وإنما لـــكل امـــرئ ما نوى ، فمـــن كانت هجرته إلى الله ورســـوله ، فهجـــرته إلـــى الله ورســـوله ، ومن كانت هجـــرته إلى دنيا يصـــيبها ، أو امرأة ينكحها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه)) .

وللهجـــرة مفهوم واسع متجدد ، إنها هجران الباطل ، وانتمـــاء إلى الحق ، إنـــها ابتعاد عن المنـــكرات ، وفعل للخيرات ، إنها تـــرك المعاصـــي ، وانـــهماك في الطـــاعات ، ثم إ نها انتقال من دار الكفر إلى دار السلام .

إنـــها انتقال بين كل مكانين ، يشـــبهان مـــكة والمـــدينة زمن الهجرة ، ولـــعل المفهوم الأوســـع للهـــجرة ، أن تـــهجر ما نهى الله عنه ، قال عليه الصـــلاة والســـلام فيما رواه البخاري ، عن ابن عمر : ((. . . والمـــهاجر من هـــجر ما نهى الله عنه)) .

بل إن ((العبـــادة في الـــهرج (الفتن) كـــهجرة إلي)) ، كما ورد في الحديث القدسي .
وللهجرة جانب إيجابي ، فالإنســـان شـــديد التأثـــر بالبيئة التي يعيشـــها ، لذلك لا يســـتطيع أن يعبد ربـــه كما أمـــره ، وأن يـــحقق الـــهدف الـــذي رســـم لـــه ، إلا إذا كـــان في مجتمع ، يؤمن بما يؤمن ويســـعى إلى ما يســـعى إليـــه ، ولا ينكر أحد أثـــر البيئة في إصـــلاح الفرد أو إفســـــاده ، لـــذلك قال تعالى :

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾

[التوبة : 119] .

وفي ســـورة الأنفال آية تبين أن الـــهجرة من لـــوازم الإيمان



قال تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

[الأنفال : 72] .

ثم يبين في الآيـــة التالية : أن الذين كفروا بعضـــهم أوليـــــاء بعض أي أنهم يتعاونون على إطفاء نور الحق ، وإحباط مســـعى المؤمنين في هـــداية الشـــاردين ، ويتعاونون على نشـــر الباطل ، وإشـــاعة الفاحشـــة ، فيقول الله تعالـــى :

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾

[الأنفال : 73] .

وأمـــا ضـــمير المفرد المذكر في قوله تعالـــى :

﴿ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَـــكُنْ فِتْنَةٌ فِـــي الْأَرْضِ وَفَسَـــادٌ كَبِيرٌ ﴾

[الأنفال : 73] .

فعلى أي شيء يعود ؟ أشـــار المفســـرون إلـــى أنـــه يعود على مضمون الآية التي قبلها كلها.

فما لم يتعاون المؤمنـــون على إحقاق الحـــق ، وإزهاق الباطل ، وما لم يكن بعضـــهم أولياء بعض ، فإن فتنة كبيرة وفساداً عريضاً سوف يعم المجتمعات الإسلامية.

أرجـــو مـــن الله جل وعلا أن يتقبـــل عمـــلي هذا ، وأن ينفع به المسلمين.

1416/01/15	**الأستاذ الدكتور**
1995/06/12	**محمد راتب النابلسي**



فهرسة الكتاب



01 - الموقف الكامل

1 ـــ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا

أيها الإخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام ، تتميز حياة النبي صلى الله عليه وسلم عن حياة العظماء من القادة والمصلحين بأن حياته صلى الله عليه وسلم كل ما فيها من أقوال ، أو أفعال ، أو إقرار ، أو مواقف تعد قدوةً وتشريعاً ، فقد عصمه الله جل جلاله عن الخطأ في أقواله ، وفي أفعاله ، وفي مواقفه ، فهو لا ينطقُ عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى ، لذلك أمرنا الله جل جلاله بالأخذ عنه ، قال تعالى :

وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ
إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾

(سورة الحشر)

وجعل الله جل جلاله إتباع النبي صلى الله عليه وسلم ، وتطبيق سنته دليلا عمليا على محبة الله ، قال تعالى :

قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ
وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾

(سورة آل عمران)

2 ـــ مهمة النبي التبليغ والتبيين ومهمة القدوة والأسوة :



لهذا كان للنبي صلى الله عليه وسلم ولسائر الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين مهمتان كبيرتان ، مهمة التبليغ والتبيين ، قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾

(سورة المائدة)

والمهمة الثانية مهمة القدوة والأسوة ، قال تعالى :

لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾

(سورة الأحزاب)

3 ــ ظروف النبي قبل الهجرة مقدَّرة بعناية كبيرة :

أيها الإخوة المؤمنون في كل مكان ، إن الظروف التي أحاطت بالنبي صلى الله عليه وسلم ، والأحداث التي واجهها هي ظروفٌ وأحداثٌ خُلقت ، وقُدرت بعنايةٍ تامة ، وبحكمةٍ بالغة ، ليقف النبي صلى الله عليه وسلم منها الموقف الكامل الذي ينبغي أن يقفه الإنسان ليؤكد إنسانيته ، وليحقق غاية وجوده ، إن هذه الظروف وتلك الأحداث من شأنها أنها تكرر بسبب أن طبيعة النفس واحدة ، قال تعالى :

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ

(سورة الأعراف)



وبسبب أن معركة الحق والباطل ، والخير والشر ، والإيمان والكفر معركة قديمة ومستمرة ، وأن الإنسان هو الإنسان في أي زمان ومكان ، أنه يكرر نفسه في ارتفاعه وانحطاطه ، في قوته وفي ضعفه ، في إيمانه وفي كفره .

لذلك أيها الإخوة / كان موقف النبي صلى الله عليه وسلم من الظروف التي أحاطت به ، ومن الأحداث التي واجهته هو الموقف الذي يريدنا الله أن نقفه إذا أحاطت بنا مثل تلك الظروف ، أو واجهتنا مثل تلك الأحداث .

02 - ثمن السعادة الأبدية

4 ــ الإنسان فطر على حب الأرض التي وُلِد فيها :

أيها الإخوة المؤمنون ، أيتها الأخوة المؤمنات ، والإنسان فطر على حب الأرض التي وجد فيها والتعلق بالمعالم التي لابست نشأته ، حينما ينتزع الإنسان من بيئته التي ترعرع فيها، ويخرج من أرضه التي أحبها تتمزق نفسه ، ويعظم همُّه ، وربما آثر الموت على هذا الخروج الذي هو اقتلاع من جذوره ، لذلك أشارت الآ ية الكريمة إلى هذه الحقيقة بقوله تعالى :

وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾

(سورة النساء)

5 ــ مهمة الإنسان عبادة الله :

هذا من جهة ، ومن جهة ثانية ، الإنسان مكلفٌ أن يعبد الله تعالى من خلال التعرف إليه ، والتعرف إلى منهجه ، ومكلف أن يعبد الله عز وجل من خلال أدائه فروض العبودية ، من صيام، وصلاة ، وحج ، ومن خلال التزامه بالأمر ، والنهي ، ومن خلال الأعمال الصالحة التي هي ثمن سعادته في الآخرة الأبدية ، قال تعالى :



وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾

(سورة الذاريات)

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾

(سورة البقرة)

6 ـ الأرض التي تمنع المسلم من عبادة الله يجب الهجرة منها :

هاتان حقيقتان أساسيتان ينشأ عنهما معا أن الإنسان إذا وُجد في أرض حالت قوى الشر فيها بينه وبين أن يستجيب لنداء فطرته في عبادة ربه ، وحالت بينه وبين أن يصغيَ لصوت العقل في تطبيق منهج خالقه ، وكان هذا الإنسان من الضعف حيث لا يستطيع أن يقنع هذه القُوى بالكف عنه ، ولا أن يقف في وجهها فيلزمها ماذا يفعل ؟ أيخسر سعادته الأبدية من أجل النوازع الأرضية ؟ قال تعالى :

إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾

(سورة النساء)

هذا هو الجواب ، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، وهذا هو المنطلق الفلسفي لهجرة النبي عليه الصلاة والسلام ، ونحن في مناسبة الهجرة .



03 - بل نؤثر الجانب الأسمى

الهجرة دروس وعبر :

1 ــ إيثار الجانب الأسمى على النوازع النفسية :

إخوةَ الإيمان في كل مكان ، تُعلِمنا الهجرة أولاً إن الإنسان إذا تنازعت فيه النوازع الأرضية ، والنـــداءات السماوية عليه أن يُؤثِر الجانبَ الأسمى والأبقى ، فلا أحدٌ يستطيع أن ينجيه من عذاب الله ، ولا عذر له فيما يرديه .

2 ــ هجران للباطل وانتماء للحق :

إن الهجرة في حقيقتها موقفٌ نفسي قبل أن تكون رحلة جسدية ، إنها هجران للباطل وانتماء للحق ، إنها ابتعاد عن المنكرات ، وفعل للخيرات ، إنها ترك للمعاصي ، وانهماك في الطاعات .

3 ــ انتقالٌ من دار الكفر إلى دار الإسلام :

ثم إنها فضلاً عن كل ذلك انتقالٌ من دار الكفر إلى دار الإسلام ، قال عليه السلام فيما رواه البخاري ومسلم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((**الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ**)) .

[البخاري ومسلم]

4 ــ باب الهجرة مفتوح :



يا أيها الإخوة المؤمنون ، يا أيتها الأخوات المؤمنات ، إذا كان باب الهجرة من مكة إلى المدينة قد أُغلق بعد الفتح ، لقول النبي علية الصلاة والسلام :

((**لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ** ...)) .

[البخاري عن ابن عباس ، ومسلم عن عائشة]

فان باب الهجرة مفتوحٌ بين كل مدينتين تشبهان مكة والمدينة زمن الهجرة ، بل إن أبواب الهجرة من مجتمع الكفر إلى مجتمع الإيمان مفتوحةٌ على مصاريعها إلى يوم القيامة ، بل إن عبادة الله في زمن كثرت فيه الفتن ، واستعرت فيه الشهوات ، وعمَّ فيه الفساد ، إن عبادة الله المخلصة الصادقة في هذه الأجواء الموبوءة تُعد هجرة خالصة إلى الله ورسوله ، عن مَعْقِلِ بن يسار رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم :

((**العِبَادَةُ في الهَرْجِ** ــ أي في زمن الفتن ــ **كَهِجْرَةٍ إليَّ**)) .

[رواه مسلم والترمذي]

04 - التوكل والأسباب

5 ــ استحقاق التأييد الإلهي لا يعني التفريط في استجماع أسبابه :

أيها الإخوة المؤمنون في كل مكان ، وتعلمنا الهجرة ثانياً من خلال الخطة المحكمة التي رسمها النبي صلى الله عليه وسلم ، أن استحقاق التأييد الإلهي لا يعني التفريط قيد أنملة في استجماع أسبابه ، وتوفير وسائله ، لقد وضع النبي صلى الله عليه وسلم لهجرته خطةً محكمةً ، حيث كتم تحركه تضليلاً للمطاردين ، واستأجر دليلاً ذا كفاءة عالية ، واختار غار ثور الذي يقع جنوب مكة لإبعاد مظنة الوصول إليه ، وحدد لكل شخص مهمة أناطها به ، فمن واحد لتقصي الأخبار ، وآخر لمحو الآثار وثالث لإيصال الزاد ، ثم إنه بعد كل ذلك كلف سيدنا عليا كرم الله وجهه أن يرتدي برده ، ويتسجى على سريره تمويها على المحاصرين الذين أزمعوا قتله .

إخوتي المؤمنين ، لقد أعد النبي لكل أمرٍ عدتَه ، ولم يدعْ مكاناً للحظوظ العمياء ، لقد اتخذ الأسباب ، وكأنها كل شيء في النجاح ، ثم توكل على الله ، لأنه لا قيام لشيء إلا بالله ، إن هذه التدابير التي اتخذها النبي صلى الله عليه وسلم على كثرتها ، ودقتها ليست صادرةً عن خوف شخصي ، بل كانت طاعة لله عن طريق الأخذ بالقوانين التي قننها الله ، وبالسنن التي



سنها الله ، وتشريعاً لأمته من بعده ، ثم إنه في الوقت نفسه لم يعتمد عليها ، بدليل أنه كان في غاية الطمأنينة حينما وصل المطاردون إليه ، فعَنْ أَنَسٍ عَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ :
قُلْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا فِي الْغَارِ :
((لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا ، فَقَالَ : مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا)) .
[متفق عليه]

((مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا))

يا أيها الإخوة المؤمنون في كل مكان ، حينما فهم المسلمون الأوائل التوكل على الله هذا الفهم الصحيح ، وبهذه الطريقة رفرفت راياتهم في مشارق الأرض ومغاربها ، واحتلوا مركزاً قيادياً بين الأمم والشعوب ، واليوم إذا أراد المسلمون أن ينتصروا على أعدائهم وما أكثرهم ، وأن يستعيدوا دورهم القيادي بين الأمم لينشروا رسالة الإسلام الخالدة ، رسالة الحق والخير والسلام ، إذا أراد المسلمون ذلك فعليهم أن يستوعبوا جيداً هذا الدرس البليغ الذي علمنا إياه رسول الله صلى الله عليه وسلم من خلال هجرته ، ونحن نحتفل في هذه الأيام بذكرى هجرته صلى الله عليه وسلم .

وملخص القول أن التوكل هو الأخذ بالأسباب من دون الاعتماد عليها ، وافتقارٌ إلي تأييد الله ، وحفظه ، وتوفيقه من دون تقصير في استجماع الوسائل.

05 - الهجرة . . في سبيل الله حصراً

6 ـ من يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مُراغماً كثيراً وسعةً :

إخوة الإيمان في كل مكان ، وتعلمنا الهجرة من خلال النتائج الباهرة التي حققها المهاجرون ، أنه من يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مُراغماً كثيراً وسعةً تُيَسر أموره ، يحفظه الله عز وجل ، يوفر الله له حاجاته ، وأنه ما ترك عبد شيئاً لله عوضه الله خيراً منه في دينه ودنياه ، وأنه من شغلته طاعةُ الله عن تحقيق مصالحه الدنيوية أعطاه الله خير الدنيا والآخرة ، وقد ورد في الحديث القدسي :



((عبدي ، أنت تريد ، وأنا أريد ، فإذا سلمت لي فيما أريد كفيتك ما تريد ، وان لم تسلم لي فيما أريد أتعبتك فيما تريد ، ثم لا يكون إلا ما أريد)) .

[تخريج إحياء علوم الدين]

و : ((**من آثر آخرته على دنياه ربحهما معاً ، ومن آثر دنياه على آخرته خسرهما معاً**)) .

[ورد في الأثر]

06 - عقبة بن عامر الجهني من الرعي إلى العلم إلى الفتوح

قصة هجرة عقبة بن عامر الجهني :

يقول عقبة بن عامر الجهني أحد أصحاب رسول الله رضي الله عنه : " قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وأنا في الفلوات أرعى غنيمات لي ، فما إن تناهى إلي خبر قدومه حتى تركتها ، ومضيت إليه لا ألوي على شيء ، فلما لقيته قلت له : يا رسول الله أتبايعني ، فقال عليه الصلاة والسلام : فمن أنت ، قلت : أنا عقبة بن عامر الجهني ، قال : يا عقبة ، أيهما أحب إليك أن تبايعني بيعةً أعرابية أم بيعة هجرةٍ قلت : بل بيعة هجرة ، وكنَّا اثني عشر رجلاً ممن أسلموا نقيم بعيداً عن المدينة لنرعى أغنامنا في بواديها ، فقال بعضنا لبعض : لا خير فينا ، والله إذا نحن لم نقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً بعد يوم ليفقهنا في ديننا ، ويُسمعنا مما ينزل عليه من وحي السماء ، فليمض كل يوم واحد منا إلى يثرب ، وليترك غنمه لنا فنرعاها له ، فقلت : اذهبوا أنتم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم واحداً بعد آخر ، وليتوك لي الذاهب غنمه ، لأني كنت شديد الإشفاق على غنيماتي من أن أتركها لأحد ، ثم طفق أصحابي يغدو الواحد منهم بعد الآخر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويترك لي غنمه أرعاها له ، فإذا جاء أخذت منه ما سمع ، وتلقيت عنه ما فقه ، لكنَّني ما لبثت أن رجَعت إلى نفسي ، وقلت لها : ويحك يا نفس ، أمنْ أجل غنيمات لا تُسمن ولا تغني تفوِّتي عليك صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والأخذ عنه مشافهةً من غير واسطة ، ثم تخليت عن غنيماتي ، ومضيت لأصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

[كنز العمال]

أيها الإخوة المؤمنون حضوراً ومستمعين ، لم يكن عقبة بن عامر الجهني ، يخطر له على بال حين اتخذ هذا القرار ، قرار صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وترك



غنيماته، لم يكن يخطر له على بال حينما اتخذ هذا القرار الحاسم والحازم أنه سيغدو بعد عِقد من الزمان عالماً من أكابر علماء الصحابة ، وقارئاً من شيوخ قرَّائها ، وقائداً من قوَّاد الفتح المرموقين ووالياً من ولاة الإسلام المعدودين ، ولم يكن يخطر له على بالٍ أيضاً ، وهو يتخلى عن غنيماته ، ويمضي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه سيكون طليعةَ الجيش الذي يفتح أمَّ الدنيا وقتها دمشق ، ويتخذ لنفسه داراً بين رياضها النضرة عند باب توما ، ولم يكن يخطر له على بال أنه سيكون أحد القادة الذين سيفتحون زمردة البلاد مصر ، وأنه سيغدو والياً عليها ، ويتخذ لنفسه فيها داراً في سفح جبلها المقطن ، وبعدها اشترك هذا الصحابي الجليل في قيادة حملة بحرية لفتح جزيرة رودس في البحر الأبيض المتوسط .

ماذا نقول ؟ لقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حينما قال :

((**ما ترك عبد شيئاً لله إلا عوضه الله خيراً منه في دينه ودنياه**)) .

[ابن عساكر عن ابن عمر]

وقد ورد في الحديث القدسي :

((**مَنْ شَغَلَهُ الْقُرْآنُ وَذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ**)) .

[الترمذي عن أبي سعيد]

07 ـ سراقة بن مالك المدلجي وسوارا كسرى

1 ـ سراقة بن مالك يريد أسرَ النبي طمعا في المال :

إخوة الإيمان في كل مكان ، لا زلنا في موضوع الهجرة ، بعد أن صعقت قريش حينما علمت أن محمداً صلى الله عليه وسلم خرج من مكة ، أعلنت في القبائل أنه من يأتيها بمحمد صلى الله عليه وسلم حياً أو ميتاً ، فله مائة من كرائم الإبل ، وكان سراقة بن مالك فارساً من فرسان قومه المعدودين ، طويل القامة عظيم الهامة بصيراً باقتفاء الأثر ، صبوراً على أهوال الطريق ، فلما سمع بالنوق المائة ، اشرأبت إليها أطماعه ، واشتد عليها حرصه ، فلبس لأمته – أي درعه – وتقلد سلاحه ، وامتطى جواده ، وطفق يغذُّ السير ليدرك محمداً صلى الله عليه وسلم قبل أن يسبقه أحدٌ إليه ، وإلى الجائزة ، ومضى يطوي الأرض طياً .

2 ـ عصمة الله لنبيّه :



سراقة بن مالك أدرك محمداً وصاحبه ، فمد يده إلى قوسه ، فجمدت في مكانها ، لأنه رأى قوائم فرسه تسيخ في الأرض – أي تغوص – ويتصاعد الغبار من بين يديها ، ويغطي عينيه وعينها ، فالتفت إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه ، وقال بسوط ضارع : يا هذان ، ادعوا لي ربكما ليطلق قوائم فرسي ، ولكما علي أن أكف عنكما ، فدعا له النبي صلى الله عليه وسلم ، فأطلق الله له قوائم فرسه ، لكن أطماعه ما لبثت أن تحركت من جديد ، فدفع فرسه نحوهما مرةً ثانيةً ، فساخت قوائمها أكثر من ذي قبل ، فاستغاث بهما مرةً ثانية ، وقال إليكما زادي ، وإليكما متاعي ، وإليكما سلاحي فخذاه ، ولكما علي عهد الله ، أن أردَّ عنكما من ورائي من الناس ، فقالا له ، لا حاجة لنا بزادك ومتاعك، ثم دعا له الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان ارحم الخلق بالخلق ، دعا له ربه مرةً ثانية فانطلقت فرسه .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾

(سورة المائدة)

هذه عصمة الله عز وجل .

3 ـ النبيّ يبشِّر سراقة بن مالك بفتح مدائن كسرى :

ولما همّ سراقة بالانصراف قال له النبي صلى الله عليه وسلم : كيف بك يا سراقة إذا لبست سواري كسرى ، قال سراقة كسرى بن هرمز صاحب القصر الأبيض في المدائن ، قال عليه السلام كسرى بن هرمز ـ وكان من أقوى الأقوياء في عصره ـ ودارت الأيام دورتها فإذا بمحمد صلى الله عليه وسلم الذي خرج من مكة طريداً شريداً مستتراً بجنح الظلام مهدوراً دمه يعود إليها سيداً فاتحاً تَحُفُّه الألوف المؤلفة من بيض السيوف ، وسمر الرماح ، ويأتي سراقة النبي صلى الله عليه وسلم ، ويعلن إسلامه بين يديه ، ويتراءى له ذلك اليوم الذي هم



فيه بقتل محمد صلى الله عليه وسلم من أجل مائة من النوق ، وبعد أن أسلم أصبحت نوق الدنيا لا تساوي عنده قلامةً من ظفر النبي صلى الله عليه وسلم .

ودارت الأيام دورتَها كرةً ثانية وآل أمر المسلمين إلى الفاروق عمر رضوان الله تعالى عليه ، وفي ذات يوم من آخر أيام خلافته قَدِم على المدينة رُسُلُ سعد بن أبي وقاص ، يبشرون عمر بالفتح ، ويحملون إلى بيت مال المسلمين الغنائم ، وكان من بين هذه الغنائم تاج كسرى المرصع بالدر ، وثيابه المنسوجة بخيوط الذهب ، ووشاحه المنظوم بالجوهر ، وسواراه ، وما لا حصر له من النفائس ، نظر عمر إلى هذا كله في دهشة ، وجعل يقلبها بقضيب كان بيده زهداً بها ، ثم قال : إن قوماً أدوا هذا لأمناء ، وكان في حضرته سيدنا علي كرم الله وجهه ، قال يا أمير المؤمنين : أعجبت من أمانتهم ، لقد عففت فعفوا ، ولو رتعت لرتعوا ، وهنا دعا الفاروقُ عمر سراقة بن مالك فألبسه قميص كسرى ، ووضع على رأسه تاجَه ، وألبسه سواريه ، ثم قال عمر لسراقة : بخٍ بخٍ أعيرابي من بني مدلج على رأسه تاج كسرى ، وفي يديه سواره ، ماذا قال الله عز وجل ؟ قال الله :

وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾

(سورة النور)

وقال تعالى :

۞فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾

(سورة مريم)



08 - بداية التأريخ الإسلامي

لذلك حق للهجرة ان تكون بداية التاريخ الاسلامي وحق لها ان تكون علما على الدين الحنيف لانها المظهر العملي للايمان قال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا ﴾

[الانفال :72]

فالاسلام ليس قناعة فحسب بل هو قيام والتزام وليس ثقافة ليس غير بل هو اذعان واستسلام لرب الاكوان والهجرة مظهر لهذا الالتزام ووذلك الاذعان انها قمة التضحية بالدنيا من اجل الاخرة وذروة ايثار الحق على الباطل والهجرة ليست انتقال رجل من بلد قريب الى بلد بعيد وليست ارتحال مفتقر من ارض مجدبة الى ارض مخصبة انها اكراه رجل امن في سربه ممتد الجذور في مكانه على اهدار مصالحه والتضحية بامواله وتصفية مركزه والنجاة بشخصه من ان يفتن في دينه

هذه الصعاب لا يطيقها الا مؤمن يخاف على سلامة ايمانه ويسعى الى مرضاة ربه اما الهياب الخوار القلق فما يستطيع شيئا من ذلك قال تعالى:

﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ ﴾

[النساء :66]

09 - والعاقبة للمتقين

من الدلائل والعبر التي تؤخذ وتستفاد ايضا من حدث الهجرة ان بين مبادئ الحق واوهام الباطل وبين عناصر الخير وقوى الشر وبين رسل الهداية وشياطين الغواية تناقضا كبيرا وصراعا مستمرا وحربا ضروسا قال تعالى :



﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾

[الانفال :30]

فماذا فعل النبي صلى الله عليه وسلم حتى مكر به هؤلاء ؟!

انهم يعرفونه قبل غيرهم ويعرفون صدقه وامانته ويعرفون عفافه ونسبه ويعرفون انه ما زاد عن ان دعاهم الى الله ليوحدوه ويعبدوه ويعرفون انه امرهم بصدق الحديث واداء الامانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ويعرفون انه نهاهم عن الفواحش وقول الزور واكل مال اليتيم بالباطل وقذف المحصنات انهم يعرفونه كما يعرفون ابنائهم انه رحمة مهداة ونعمة مزجاة

امثل هذا المخلوق الاول يمكر به ؟!

امثل هذا الانسان الكامل يُكاد له؟!

انها معركة الحق والباطل ولكن ما دامت كلمة الله هي العليا ومادامت ارادته هي النافذة فما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن ومادام انه ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها فلم اراد الله ان يكون هذا الصراع بين الحق والباطل ؟

انه الابتلاء ليكون النجاح فيه ثمن العطاء

فالدنيا في حقيقتها دار تكليف وابتلاء وانقطاع والاخرة دار تشريف وجزاء وخلود ان الابتلاء يكشف حقيقة المؤمن لنفسه اولا ولمن حوله ثانيا انه يكشف ثباته على مبدئه واصراره على مرضاة ربه انه يكشف حبه لله وكيف انه يضحي من اجله بالغالي والرخيص والنفس والنفيس انه يكشف صبره على الشدائد حفاظا على دينه والشدائد تدفعه الى التوكل وبالتوكل يصرف عنه السوء وتساق اليه الخيرات ونتائج التوكل تزيده معرفة بربه وحبا له ان هذه المعاني مستنبطة من قوله تعالى



﴿ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ ﴾

[محمد :4]

وقوله سبحانه:

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾

[محمد :31]

ولقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ يقول فيما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

((ان هخذه الدنيا دار التواء لا دار استواء ومنزل ترح لا منزل فرح فمن عرفها لم يفرح لرخاء ولم يحزن لشقاء وقد جعلها الله دار بلوى وجعل الاخرة دار عقبى فجعل بلاء الدنيا لعط اء الاخرة سببا وجعل عطاء الاخرة من بلوى الدنيا عوضا فياخذ ليعطي ويبتلي ليجزي))

ولكن ماذا بعد الابتلاء ؟!

انه الجزاء في الدنيا والاخرة الحفظ والنصر للمؤمنين والاحباط والخذلان لاعدائهم فالعاقبة للمتقين ورحمة الله قريب من المحسنين

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴾

[الصافات :171-173]



10 - الذين آووا ونصروا

أما هؤلاء الأنصار ، الذين هاجر إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قدموا مثلا رائعا من أمثلة التضحية والإيثار ، وأنموذجا فذا للتعون بين المؤمنين ، كل هذا كان تعبيرا عن عمق إيمانهم ، وسمو مشاعرهم ، ولقد زكى الله صنيعهم فقال بحقهم :

﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

[الحشر:09]

ولنستمع إلى حديث سيدنا سعد بن معاذ ، سيد الأنصار ، رضي الله عنه يخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عشية معركة بدر ، حيث يجسد موقف الأنصار : ((يا رسول الله ، لقد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، أعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة لك ، فامض بنا يا رسول الله لما أردت ، فنحن معك ، فو الذي بعثك بالحق ، لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، وما يكره أن تلقى بنا عدوا غدا ، وإنا لصبر في الحرب ، صدق عند اللقاء ، فصل حبا ل من شئت واقطع حبال من شئت ، وأعطنا ماشئت ، وما أخذت منا كان أحب إلينا مما تركت ، فلعل الله يريك منا ما تقر به عينك))

هؤلاء الذين آووا ونصروا رسول ، من جاءهم مهاجرا في سبيل اله ، أعد الله لهم مغفرة ورزقا كبيرا ، وفازوا بمرضاة الله ، وهي أثمن ما يناله مخلوق على وجه الأرض .. قال تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾

[الأنفال:74]



فشتان : بين من يعارض الحق وبين من يؤيده .....

وبين من يصدق النبي وبين من يكذبه ......

وبين من يخرجه وبيب من يؤويه....

وبين من يقاتله وبين من ينصره.....

وبين المؤمن وبين غير المؤمن....

قال تعالى:

﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لَا يَسْتَوُونَ ﴾

[السجدة : 18]

وقال أيضا :

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ﴾

[الجاثية :21]

11 - في خيمة (أم معبد)

في أثناء الطريق ، طريق الهجرة ، مر صلى الله عليه وسلم وصاحبه بمنازل خزاعة ، ودخل خيمة ((أم معبد)) فاستراح به قليلا وشرب لبن شاتها ، ولما خرج من عندها قيل لها : صفيه لنا يا أم معبد ، فقالت ((رأيت رجلا ظاهر الوضاءة ، أبلج الوجه ، حسن الخلق ، وسيما قسيما ، إذا صمت علاه الوقار ، وغذا تكلم سماه وعلاه البهاء ، فهو أجمل الناس وأبهاهم من بعيد ، وأحسنهم وأجملهم



من قريبٍ ، حلو المنطق ، فصل لا نزر ولا هزر ، كأن منطقه إذا خرزات نظم يتحون ، ربعة ، لا يأس من طول ، ولا تقحمه عين من قصر ، غصن بين غصنيين ، فهو أنضر الثلاثة منظرا ، وأحسنهم قدرا ، له رفقاء يحفون به ، وإن قال أنصتوا لقوله ، وإذا أمر تبادروا لأمره ، محفود مشحود ، لا عابس ولا مفند ، فقال لها زوجها ، أبو معبد : هو والله صاحب قريش ، ولقد هممت أن أصحبه ، ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلا))

12 - لك العتبى حتى ترضى

روى أبو نعيم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج من مكة مهجرا إلى الله دعا ربه فقال:

الحمد لله الذي خلقنا ولم نكن شيئا ، اللهم أعِنَّا على هول الدنيا وبوائق الدهر ومصائب الليالي والأيام ، اللهم اصحبنا في سفرنا، واخلفنا في أهلنا ، وبارك لنا فيما رزقتنا ، ولك فذللنا ، وعلى صالح الخلق فقومنا ، وإليك ربنا فحببنا ، والى الناس فلا تكلنا ، رب المستضعفين ، وأنت ربنا ، نعوذ بنور بوجهك الكريم الذي أشرقت له السماوات والأرض ، وكشفت به الظلمات ، وصلح عليه أمر الأولين والآخرين أن تحل علينا غضبك ، وتنزل بنا سخ طك ، ونعوذ بك من زوال نعمتك ، وفجأة نقمتك ، وتحول عافيتك ، وجميع سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك.

13 - حينما تكون الهجرة في سبيل الشيطان

يا أيها الإخوة الكرام في دنيا العروبة والإسلام ، هذا عن الهجرة في سبيل الرحمن ، فماذا عن الهجرة في سبيل الشيطان ، موضوع آخر .

حينما يرفض المرء الحق وأهله ، وينضم إلى الباطل وأهله ، حينما يؤثر المرء الدنيا الفانية على الآخرة الباقية ، حينما يفضل الرجل مصالحه على مبادئه وحاجاته على قيمه ، حينما تكون الهجرة ابتغاء دنيا يصيبها الرجل ، أو ابتغاء مال وفير يحصله على حساب مصيره الأبدي .



حينما تكون الهجرة بذلاً للخبرات والطاقات لغير بلاد المسلمين ، حينما تكون الهجرة إضعافاً للمسلمين ، وتقويةً لأعدائهم ، حينما تكون الهجرة هروباً من تحمل المسؤولية ، وفراراً من البذل والتضحية .

حينما تكون الهجرة تمكيناً للعدو من احتلال الأرض ، واستثمار خيراتها .

حينما تكون الهجرة من بلد تقام فيه شعائر الدين إلى بلد فرغت منه كل القيم ، وحينما تكون الهجرة تضييعاً للعرض والدين ، وكسباً للدرهم والدينار فهي هجرة في سبيل الشيطان ، وشتان بين الهجرتين .

14 - لقد سوى الإسلام بينهما

أيها الإخوة الكرام في دنيا العروبة والإسلام ، لقد قدم جبلة بن الأيهم أحد ملوك الغساسنة على سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، معلناً إسلامه ، وقد رحب به عمر أشد الترحيب ، وأنزله منزلته ، وفيما جبلة بن الأيهم ، هذا الملك الغساني يطوف حول الكعبة داس بدوي من فزارة خطأً على طرف ردائه ، فأزاحه عن كتفه ، فالتفت جبلة إليه ، وضربه ضربةً هشّمت أنفه ، فما كان من هذا البدوي من فزارة إلا أن يتجه إلى عمر بن الخطاب ليشكوا جبلة ، فاستدعى عمر جبلة ، وقال له ، يا ابن أيهم ، جاءني هذا الصباح مشهد يبعث في النفس المرارة ، بدوي من فزارة بدماءٍ تتظلم ، بجراح تتكلم ، مقلةٌ غارت ، وأنف قد تهشَّم ، وسألناه ، فألقى فادح الوزر عليك ، بيديك .

أصحيح ما قاله هذا الفزاري الجريح ؟

قال جبلة : لست ممن ينكر أو يكتم شيًّا ، أنا أدَّبت الفتى أدركت حقي بيدي .

قال عمر : أي حق يا ابن أيهم ، عند غيري يقهر المستضعف العافي ويظلم ، عند غيري جبهةٌ بالإثم بالباطل تلطم ، نزوات الجاهلية ورياح العنجهية ، قد دفنَّاها ، وأقمنا فوقها صرحاً جديداً ، وتساوى الناس أحراراً لدينا وعبيداً .

يا جبلة أرضِ الفتى ، لابد من إرضائه ، ما زال ظفرك عالقاً بد مائه ، أو يُهشمن الآن أنفك ، وتنال ما فعلته كفك .

فقال جبلة : كيف ذاك يا أمير المؤمنين ، هو سوقة ،وأنا صاحب تاج كيف ترضى أن يخرَّ النجم أرضاً ، كان وهماً ما جرى في خلدي أنني عندك أقوى وأعزُّ ، أنا مرتدٌ إذا أكرهتني .



فقال عمر : عالم نبنيه كل صدع فيه بشبا السيف يداوى ، وأعز الناس بالعبد بالصعلوك تساوى .

يا إخوة الإيمان في كل مكان ، لقد ارتد جبلة عن الإسلام ، وأخذته العزة بالإثم ، وأبى أن يخضع لحكم الله ، وتسلَّل في جنح الظلام من المدينة مُتَّجهاً نحو الشمال ، نحو أعداء المسلمين لينضم إليهم ، ويمضي عمره بالمعاصي والآثام ، وحينما دنا أجله ، تقطع قلبه ندماً على ما فعل ، فقد باع آخرته بدنياه ، وقال بعض الأبيات :

يا ليت أمي لم تلدني وليتنـــــي رجعت إلى الأمر الذي قاله عمـــر
ويا ليتني أرعى الشياه بقفـــــرة و كنت أسيراً في ربيعة أو مضـــر
ويا ليت لي بالشام أدنى معيشـــة أجالس قومي ذاهب السمع والبصر

***

هذه هجرة في سبيل الشيطان ، ولكن متى عرف الحقيقة ، بعد فوات الأوان .

أيها الإخوة الأكارم ، كل مخلوق يموت ، ولا يبقى إلا ذو العزة والجبروت ، الليل مهما طال فلا بد من طلوع الفجر ، والعمر مهما طال فلا بد من نزول القبر

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته يوماً على آلة حدباء محمولُ
فإذا حملت إلى القبور جنـــازةً فاعلم بأنك بعدها محـــــمولُ

***

لذلك حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا ، وسيتخطى غيرنا إلينا ، فلنتخذ حذرنا ، الكيس من دان نفسه ، وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها ، وتمنى على الله الأماني .

